المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بدمياط الجديدة

الظِّل ودلالته العقدية
دراسة تحليلية

الدكتورة
سامية وحيد شاهين سعد
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات كفرالشيخ
جامعة الأزهر

العدد الثامن عشر (يونيو ٢٠٢٥م)
الترقيم الدولي/ ISSN (2356- 6353)
الترقيم الدولي الإلكتروني/ (2636- 2716)
رقم الإيداع بدار الكتب / (2013/ 18766)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الظل كظاهرة كونية دقيقة، لها أبعاد علمية وإيمانية عميقة. وقد بدأ بتأصيل لفظ الظل تأصيلًا لغويًا من خلال الرجوع إلى المعاجم العربية المتنوعة، لبيان مدلوله اللغوي والدلالات التي ارتبط بها في الاستعمال العربي، ثم تناول معناه واصطلاحه في علم الفلك. كما تتبع البحث ورود لفظ الظل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واستعرض كيفية تناول النصوص الدينية لهذه الظاهرة الكونية، بما يكشف عن إعجاز علمي وبلاغي، ويؤكد على التكامل بين الدين والعلم.

كما استعرض البحث أسباب حدوث الظل بالصورة المألوفة التي نشاهدها، والتي توصل إليها علماء الفلك، من خلال تحليل العلاقة بين الضوء والأجسام المعتمة، ودور أشعة الشمس في تشكُّل الظلال، إلى جانب ما حدده العلماء من أنواع الظلال كظل كامل، وظل جزئي، وظل متحرك، وغيرها. وتناول حقيقة حدوث الظل من حيث المدة والتغير الزمني والمكاني المرتبط بحركة الأرض ودورانها، كما أوضح مدى ارتباط هذه الظاهرة بغيرها من الظواهر الفلكية، وانعكاسات ذلك على الحياة اليومية.

وأوضح البحث أن الظل نعمة من نعم الله تعالى ويتنعم به المتقون في الحياة الآخرة. وأكد البحث على وجود منافع ومضار ناتجة عن هذه الظاهرة، كما ناقش كيفية توظيفها في التطبيقات العلمية مثل التوقيت الشمسي. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها: إثبات وجود صانع حكيم من خلال هذا النظام البديع، التأكيد على أن ما توصل إليه العلم الحديث لا يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة، بل يتوافق معه تمامًا، وهو ما يدل على الإعجاز العلمي في القرآن. كما وجه أنظار الغافلين إلى أن الظواهر البسيطة تحمل أسرارًا كونية عظيمة، تشهد لله بالوحدانية والإتقان.

الكلمات المفتاحية:(الظل، أنواع الظل، الظواهر الكونية، الاستدلال على وجود الله)

Shadow and its nodal connotation analytical study

Abstract:

This research explores shadow as a precise cosmic phenomenon with both scientific and spiritual dimensions. It begins by tracing the linguistic roots of the term "shadow" in various Arabic lexicons، clarifying its meanings and contextual uses in classical Arabic. It then examines its definition and usage in the field of astronomy. The study also investigates references to shadows in the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah، highlighting the miraculous linguistic and scientific aspects found in Islamic texts and emphasizing the harmony between religion and science.

Furthermore، the research analyzes the causes of shadow formation as commonly observed، based on astronomical explanations. It delves into the interaction between light and opaque objects، the role of sunlight in casting shadows، and categorizes types of shadows such as full shadow، partial shadow، and moving shadow. It discusses the temporal and spatial variations of shadows in relation to the Earth's rotation and movement، and how this phenomenon correlates with other cosmic events like eclipses. The implications of these connections for daily life are also addressed.

The study highlights that shadow is a divine blessing and a comfort promised to the righteous in the Hereafter. It also explores the benefits and potential drawbacks of this

phenomenon and its applications in scientific contexts such as solar timekeeping. Among the key findings is the affirmation of the existence of a Wise Creator behind this intricate cosmic order. It further confirms that modern scientific discoveries align with the Qur'anic and Prophetic descriptions، serving as a testament to the scientific miracles of the Qur'an. Ultimately، the research calls attention to how even the simplest natural phenomena reveal profound cosmic secrets that testify to the oneness، wisdom، and perfection of the Creator.

Keywords: shadow، types of shadow، cosmic phenomena، evidence for the existence of God)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.....

أما بعد:

إن نهضة الأمم وتقدمها يرتبط بتقدم العلم وتطوره، ولقد كان العلم موطن اهتمام جميع الأديان الإلهية وعلى رأسها الإسلام؛ ويظهر هذا جلياً من خلال ورود لفظ العلم ومشتقاته في أكثر من موضع في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وقد دعا الإسلام إلى التفكر والتأمل في الكون وآياته، والنظر في الكون وما يحويه فرع من فروع علم الفلك.

إن علم الفلك ليس من العلوم المستحدثة ولا الدخيلة على البيئة الإسلامية؛ فلقد كان العرب في الجاهلية يهتدون بالنجوم في ترحالهم، وبمجيء الإسلام لم ينكر هذا الأمر بل ربط بعض الشعائر ومواقيتها ببعض الظواهر الكونية.

وبتطور العلم وتقدمه استطاع العلماء تفسير حدوث بعض الظواهر الكونية وبيان حقيقتها وأسبابها. ولم يلبث علماء الإسلام ملياً حتى وجهوا أنظارنا إلى القرآن الكريم بياناً وتأكيداً أن ما جاء به العلم وتوصل إليه العلماء في شأن هذه الظواهر هو بعينه ما أشار إليه القرآن الكريم دليلاً على إعجازه العلمي.

ومن ثم قام علماء العقيدة بمهمتهم التي وكلوا بها؛ وهي دفع شبه الملحدين وردع المعتدين وإبطال جحد المنكرين لألوهيته تعالى؛ فاستنبطوا من النظريات الكونية التي توصل إليها

علماء الفلك المسلمين وغير المسلمين أدلة علمية على وجوده تعالى وقدرته وإبداعه وإتقانه جل وعلا.

ونظراً لأهمية هذا العلم ومكانته وصلاحيته لاستخلاص الأدلة العقيلة للرد على الملحدين كانت فكرة البحث، وعنوانه (**الظل ودلالته العقدية دراسة تحليلية**).

أهمية البحث: –

أودع الله تعالى في أبسط الأمور وأوهنها أسراراً لا يعرفها إلا المتأمل المتدبر في الكون وما فيه، والظل من الأمور العابرة في حياتنا اليومية التي اعتدنا عليها دون معرفة أسبابها وكيفية حدوثها، في حين أن هذه الظواهر رغم بساطتها تحوي على أسرار هائلة تدل دلالة واضحة على وجود خالقها وحكمته وقدرته وإبداعه. فتأتي أهمية البحث من أهمية المستَدل عليه، والمستَدل عليه هنا هو الله تعالى في خلقه وإبداعه ونظامه. لا شك أن الآيات الكونية فيها من الدلالات العلمية مالا يدع مجالاً للشك في وجود تعالى وإثبات قدرته وإبداعه. وقد توصل العلم إلى قوانين بعض الظواهر وبيان حقيقتها ولا زال يكتشف أسبابها، والبحث سوف يتعرض للظل كظاهرة طبيعية متتبعاً حقيقته وأسبابه كما أوردها العلماء مستدلاً به على وجود صانعه وإبداعه.

إشكالية البحث: –

بعون الله تعالى وتوفيقه سيحاول الباحث توضيح عدة أمور منها:–

١– التأصيل اللغوي للفظ الظل.

٢– ما اصطلح عليه العلماء في التعريف به.

٣– تتبع لفظ الظل في الكتاب والسنة.

٤- الدلالة العقدية لهذه الظاهرة من الإبداع والنظام.

وبمشيئة الله تعالى سيتم عرض هذه الأمور في ثنايا البحث بحيادية تامة.

أسباب اختيار البحث:-

١- الاطلاع على بعض الظواهر الكونية ومعرفة أسبابها، وإبراز الدلالات العقدية فيها.

٢- تسليط الضوء على مدى الترابط والتوافق بين العلم والدين.

٣- معرفة وجهة نظر علماء الفلك في حقيقة الظل، وهل تفسيرهم له ولإسبابه جاء موافق للكتاب والسنة.

٤- الوقوف على علاقة الظل بالظواهر الكونية الأخرى.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المناهج التالية:-

١- المنهج التحليلي: وقد استخدمته في معظم الموضوعات الموجودة قدر المستطاع من خلال تحليل المفاهيم الأساسية الموجودة في هذه الدراسة.

٢- المنهج المقارن: قمت باستخدامه في المقارنة بين آراء علماء الفلك في تفسير حقيقة الظل وأنواعه وبين تفسير هذه الظاهرة تبعاً لورودها في النظم القرآني.

٣- المنهج الاستدلالي: وقد استخدمته في الاستدلال بكل ما يخص الظل كظاهرة كونية على بعض الأمور العقدية، كوجوده تعالى، وإبداعه، وإتقانه...

خطة البحث:-

يتألف البحث من مقدمة، ومبحثين وخاتمة.

١- المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، إشكالية البحث، أسباب اختيار الموضوع، ثم منهج البحث وخطته.

٢-المبحث الأول:- بعنوان مفاهيم أساسية، ويأتي على مطلبين:-

المطلب الأول: مفهوم الظل في اللغة، والفرق بين الظل والفيء.

المطلب الثاني: مفهوم الظل في اصطلاح علم الفلك وفي الاصطلاح الديني.

أ- المبحث الثاني:- الدلالات العقدية لظاهرة الظل، ويتضمن ثلاثة مطالب:-

١- المطلب الأول:- الظل ودلالته على وجود الصانع

٢- المطلب الثاني:- أنواع الظل ودلالتها على عظمة خلقه وتدبيره.

٣- المطلب الثالث:-علاقة الظل بالظواهر الكونية دليل على قدرته تعالى وإبداعه.

وأما الخاتمة فتتضمن الحديث عن خلاصة البحث ونتائجه.

وأخيراً الفهارس اللازمة.

المبحث الأول

مفاهيم أساسية

تمهيد وتقسيم:

التفكير في مخلوقات الله وآياته العظيمة، وما يحدثه الله عز وجل في هذا الكون، علوية وسفلية، من ليل ونهار، ورياح وأمطار، ورعد وبرق، وخسوف وكسوف، وزلازل وبراكين، وفيضانات وسيول، وشمس وظل وغير ذلك من الآيات الكثيرة، كل ذلك بتصريف من الله وحده عز وجل واعتبار لمن اعتبر(١).

وهذا التفكير يدل على أن هذا الكون له خالق مالك متصرف، مستحق للعبادة وحده، فهو سبحانه يظهر آياته الكونية للناس ليستدلوا بها على أنه هو المستحق للعبادة وحده، وأن كل ما سواه هو الباطل الذي يضمحل ويفنى، قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(٢)، قال ابن جرير رحمه الله: "هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قُدرته، إنما فعله بأنه الله حقاً، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته" (٣).

---

(١) د. عبد المجيد بن محمد الوعلان، الدلالات العقدية للآيات الكونية، ط١، دار ركائز للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ص٦.

(٢) سورة الحج الآية (٦٢).

(٣) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: محمود ساكر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢١.

وبذلك **سوف نتناول** هذا المبحث في مطلبين، خصّصنا المطلب الأول: مفهوم الظل في اللغة، والفرق بين الظل والفيء، وسنبين في المطلب الثاني: مفهوم الظل في اصطلاح علم الفلك وفي الاصطلاح الديني.

المطلب الأول

مفهوم الظل في اللغة، والفرق بين الظل والفيء

لقد كان منهج القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى أن يأمرهم بالنظر في هذا الكون ليسترشدو به على معرفة الله تعالى، والإيمان به رباً وإلهاً، وذلك بناء على أن أحكام الصنع يدل على قدرة الصانع وعظمته؛ فكان بمقتضى النهج النوراني لابد أن الكون وما فيه من خلق عظيم يدل على منشئه وحده سبحانه وتعالى، ولا تكاد تجد سورة من القرآن مكية كانت أو مدنية خلت من ذكر الكون وما يتصل به[١]، وفي كتب العقائد الإسلامية إشارة إلى وجوب النظر في آيات الله تعالى الكونية؛ وذلك لأن ملاحظة هذه الآيات، وأنها حادثة ليست أزلية دليل على محدثها، وأنه تعالى المتفرد بالخلق، فيجب أن يُفرد كذلك بالعبادة والطاعة والحكم[٢]، ولا شك أن الآيات الكونية فيها من الدلالات العلمية مالا يدع مجالاً للشك في وجود تعالى وإثبات قدرته وإبداعه، وهذا ما سنوضحه كالتالي:

---

(١) نصر الجوهري الفاربي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص٢٣٠.

(٢) د. هدى هادي عباس، بحث بعنوان (أثر الآيات الكونية في لفظة (لقي) ومشتقاتها في فهم السياق القرآني)، منشور في مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، مج(٣٠)، العدد (١٢٥)، العراق، ٢٠٢٤م، ص٣٦٢. نقلاً عن محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ.

أولاً– مفهوم الظل في اللغة:

تُعد الظلال إحدى النعم التي أمتن بها الله سبحانه وتعالى على عباده، وهذه اللفظة واشتقاقها في اللغة تأتي بمعاني عديدة[١]، نذكرها كالتالي:

المعنى الأول– الظل بالكسر يأتي بمعنى لون النهار: إذا غلبته الشمس، والظل نقيض الضحى، وهو ضوء الشمس، أو هو الفيء، أو هو الغداة، والفيء يكون بالعشي وجمعه: ظِلال، وظُلول، وأظلال بسكون الظاء[٢]، وظِل النهار لونه إذا غلبت الشمس، وبعضهم يجعل الظل الفيء، وكل موضوع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظِل وفيء، فالظل ما كان قبل الشمس، أو هو: الفيء الحاصل من الحجز بينك وبين الشمس أي شيء كان، والظل بظل، أما الفيء، ما فاء بعد؛ لذا فالفيء: ما كان شمساً فينسخه الظل[٣].

وقيل: "الظل كل مالم تطلع عليه الشمس، وحجبت عنه فهو ظل، والفيء لا يسمى فيئاً إلا بعد الزوال، أي رجعت الشمس إلى الجانب الغربي، فما فاءت منه الشمس، وبقي ظلاً فهو فيء، وقيل الفيء شرقي والظل غربي، لذا يُدعى الظل ظلاً من أول النهار إلى الزوال، ثم يُدعى فيئاً بعد الزوال إلى الليل" [٤].

---

(١) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الوجوه والنظائر، ط١، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٣١.

(٢) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، (٤١٥/١١).

(٣) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٨، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة رسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٠٢٨.

(٤) أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي البصري، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، دون تاريخ نشر، (٤٠٧/٨).

المعنى الثاني– يأتي بمعنى موت الانسان: إذ يقال للرجل إذا نضب عمره، وضحا ظله، أي: إذا مات، ويقال: ضحا الظل، إذا صار ظل الانسان شمساً، أي: بطل صاحبه ومات، وفي الدعاء: لا أضحى الله ظلك، ومعناه لا أماتك الله حتى يذهب ظل شخصك(١).

المعنى الثالث– يأتي بمعنى العمل في النهار: يقال " ظل فلان نهاره صائماً، وظل نهاره يفعل كذا وكذا، يظل ظَلاً وظُلولاً، وظللت أنا، ولا يقال ذلك إلا في النهار؛ لكنه قد سمع في بعض الشعر عند العرب قولهم: ظل ليله، وظللت أعمل كذا، بالكسر ظُلولاً؛ إذ عملته بالنهار دون الليل، ومنه قوله تعالى﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**﴾(٢)، ويقال ظّل فلان نهاره صائماً، ولا تقول العرب: ظّل يظل إلا لكل عمل بالنهار؛ كما لا يقولون بات يبيت إلا بالليل(٣).

المعنى الرابع– ما أظل من السحاب: الظلة بالضم كهيأة الصفة، وهي أول سحابة تُظل، ويقال: "أظل يومنا هذا إذا كان ذا سحاب أو غيره، وظل السحاب ما وارى الشمس منه، وظله سواده، والشمس مستظلة أي هي في السحاب" (٤).

المعنى الخامس– ويأتي بمعنى أول برد الشتاء وشدة الحر: يقال عند العرب: كان ذلك في ظل الشتاء، أي في أول ما جاء الشتاء، وفعل ذلك في ظل القيظ أي في شدة

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروسين من جواهر القاموس، دار الهداية، دون تاريخ طبع وبلده، (٤٦٠/١١).

(٢) سورة الواقعة الآية (٦٥)

(٣) أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي البصري، العين، مرجع سابق، (١٤٨/٨).

(٤) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المعاجم والقواميس، دار الفكر، القاهرة، ٢٠٠٧م، (٤٦١/٣).

الحر[١]؛ وقد يأتي لفظ الظل بمدلول آخر هو المعنى اللازم؛ إذ يلزم من مرور الذئب سرعة ظله، ويلزم من ظل الشيء الغشيان، ومن ذلك قولهم مر بنا كأنه ظل ذئب، أي: مر بنا سريعاً كسرعة الذئب[٢]؛ وقد تأتي بمعنى شخص أو كنه الشيء، يقال: " ظل كل شيء: شخصه لمكان سواده، وأظلني الشيء غشيني[٣]، ويأتي لفظ الظل بمعنى الرحمة: كما في الحديث الشريف (سبعة يظلهم الله في ظل العرش) [٤]؛ فإذا كان المراد ظل العرش، استلزم ما ذكر من كونهم في كنف الله وكرامته، وفي ظل رحمته " [٥].

المعنى السادس- يأتي بمدلول آخر وهو بداية الشباب: يقال ظل الشباب، أي أوله[٦]، ويأتي بمعنى موج البحر، يقال ظلال البحر، أي أمواجه؛ لأنها ترتفع فتظل السفينة ومن فيها، وليس المراد هنا الأمواج حقيقة، بل ظلالها، وهذا من المجاز المرسل؛ إذ أطلق الموج، وأريد به ظله، أو لازم الموج، وهو الظل؛ إذا يلزم من وجود الموج في الغالب

---

(١) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤، تحقيق: يعقوب عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، دون تاريخ نشر، (٤٦١/١٤).

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروسين من جواهر القاموس، مرجع سابق، (٤١٤/٢٩).

(٣) أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، الغريب في مفردات القرءان، ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ص٥٣٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١٣٣/١)، ص٦٦٠.

(٥) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (١٤٥/٢).

(٦) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص١٠٢٨.

الظل[١]؛ وقد يأتي لفظ الظل بمعنى الدنو والقرب: ويكنى عن الكنف والناحية، يقال: أظلك الشيء، أي دنا منك حتى كأنه ألقي عليك ظله من قربه، وأظلك شهر رمضان أي دنا منك، وفي الحديث الشريف (الجنة تحت ظلال السيوف) [٢]، وهو كناية عن الدنو من الضراب في الجهاد في سبيل الله حتى يعلوه السيف ويصير ظله عليه[٣]، ويطلق الظل أيضاً ويراد به: الخيال من الجن، فهو لا يُرى[٤].

ثانياً– الفرق بين الظل والفيء:

يظن الكثيرون إلى أن الظلَّ والفَيء بمعنى واحد وليس كذلك؛ لأن بينهما فرقاً، فالفرق بينهما أن الظل يكون ليلاً ونهاراً، أما الفيء فلا يكون إلا بالنهار على الأرجح من أقوال اللغويين؛ حيث جاء في المصباح: "قال ابن قتيبة: الظل يكون غُدوة وعشَّية، والفيء لا يكون إلا بعد الزّوال؛ فلا يقال لما قبل الزوال فَيء، وإنما سُمي بعد الزوال فَيئاَ لأنه فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفَيء الرجوع" ومن ذلك أيضاً؛ إذ قالوا على الظل أنه يدل على ستر الشيء، فالظل ظل الانسان وغيره، ويكون بالغداة والعشي، تقول أظلتني الشجرة تظلني، والليل ظل، وذلك أنه يستر، واستشهدوا عليه

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، دون تاريخ نشر،(٥٧٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ٢٢/٤-٢٨١٨.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروسين من جواهر القاموس، مرجع سابق، (٤١٤/٢٩)

(٤) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، مرجع سابق، (٤١٧/١١).

بقول ذي الرمة يصف سُراه في الصحراء ليلاً قال: (قد أعسف النازح المجهول معسفة في ظل أخضر يدعو هامه البُوم) [١].

ويقولون: جلست في فيء الشجرة، والصواب أن يقال في ظل الشجرة؛ كما جاء في الأثر مما أخبرنا به أبو الحسين محمد بن علي السيرافي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا إن شئتم" وظل ممدود " [٢].

ويعرف الفيء في اللغة[٣]: الفاء والهمزة مع معتل بينهما، كلمات تدل على الرجوع، يقال: فاء الفيء، إذا رجع الظل من جانب المغرب إلى جانب المشرق، وكل رجوع فيء[٤]، يقول الله تعالى ﴿ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، يقال فاء يفيء

---

(١) د. أحمد بن عبد الرحمن سالم بالخير، مقالة بعنوان (الظل والفَيء في اللغة العربية)، منشورة في مجلة صوت عُمان في العالم، عُمان، ٢٠١٦م. منشورة على الرابط الالكتروني التالي:
https://alwatan. om/details/133931

(٢) أحمد بن محمد الخفاجي المصري، شرح درة الغواص في أوهام الخواص مطبوع ضمن درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها، الفصل ٧٨ (الفيء والظل)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قربي، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ص٣٦٥.

(٣) د. مكي وليد عبد الكريم، بحث بعنوان (آيات الفيء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية)، منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، مج(١٣)، العدد (٥٤)، العراق، ٢٠٢٢م، ص٣٢٠.

(٤) أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (فأ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٤/٤٣٥).

(٥) سورة البقرة الآية (٢٢٦).

فيئاً، وإذا آلى الرجل من امرأته ثم كفّر يمينه ورجع إليها[١]، ويقول الله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾[٢]، فإن التفيؤ: تفاعل من الفيء، وهو الظل بالعشي، وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاف النهار، ويقول الله تعالى ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٣]، فإن الفيء: ما رد الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال، إما بأن يُجلوا عن أوطانهم ويُخلوها للمسلمين، أو يتصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم، أو مالٍ غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم، فهذا المال هو الفيء في كتاب الله، فالفيء في كتاب الله تعالى على ثلاثة معان، مرجعها إلى أصل واحد، وهو الرجوع، وجمع الفيء، أفياء، وفيوء[٤].

وقال ابن سكيت: الظل من الطلوع إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب، وقال: الظل ما نسخته الشمس، والفيء ما نسخ الشمس[٥].

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي البصري، العين، مادة (فيأ)، مرجع سابق، (٤٠٧/٨).

(٢) سورة النحل الآية (٤٨).

(٣) سورة الحشر الآية (٧).

(٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، باب (حروف الفيف من الفاء)، مرجع سابق، (٤١٤/١٥).

(٥) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق مجموعة بإشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ، (٤١٩/١٥).

وقال ابن قتيبه كذلك: " يذهب الناس إلى أنهما الظل والفيء شـــيء واحد، وليس كذلك؛ لأن الظل يكون غدوة وعشية، ومن أول النهار إلى آخره[١].

وحاصل ما سبق: أنه ليس بين كلام ابن السكيت وابن قتيبة تعارض، وحاصل كلاهما أن الفيء لا يطلق إلا على الظل الذي يكون بعد الزوال؛ لأن الظل لا يزال يتناقص حتى يقف تناقصه عند كون الشمس في كبد السماء، فإذا بدأت الشمس في الزوال رجع الظل في الطول إلى جهة المشرق؛ لذا سمي فيئاً، أما الظل فيطلق على ما قبل الزوال وبعده. فوجود الظل مستمر ما دامت الشمس في السماء ويتفاوت شدة وضعفاً بحسب الشمس، أما الفيئ فيكون بعد زوال الشمس من كبد السماء ولهذا سمي فئ أي عاد لأنه غالباً ما يعود بعد زوال الظل وقت الظهيرة والله أعلى وأعلم.

(١) أحمد بن خالد بن فهد آل مجناء، بحث بعنوان (أحكام الظل في أبواب العبادات والآداب، رواية ودراية)، منشور في مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤٣)، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٧م، ص٨.

المطلب الثاني

مفهوم الظل في اصطلاح علم الفلك وفي الاصطلاح الديني

يُعد علم الفلك من أقدم العلوم البشرية، ويختلف عن غيره من العلوم كالتنجيم، وعلوم الكون، والفيزياء الفلكية؛ وقد كان علم الفلك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم امتداداً للفلك في العصر الجاهلي في حالته الفطرية المحدودة، مع رفض الرسول صلى الله عليه وسلم لعدد من مواده الضارة بالمجتمع كالنسيء، والاعتقاد في النجوم والكواكب والذي ساد في العصر الجاهلي[١]، وعلى غرار ذلك سنوضح في هذا المطلب مفهوم الظل في اصطلاح علم الفلك وفي الاصطلاح الديني.

أولاً– مفهوم الظل في اصطلاح علم الفلك:

إذا قالوا: ظلّ مطلق فالمراد هو الظل الثاني(شديد الارتفاع) غالباً بل إن الظل الثاني هو غاية الارتفاع، فيقولون مثلاً: إذا كان العرض بلا زيادة من الميل الكلي فالظل دائماً في جانب الشمال، فالمراد من الظّلّ هو الظّلّ الثاني، أي غاية الارتفاع[٢].

وإما مأخوذ من المقياس القائم عموداً على الأفق ويسمى بالظّل الثاني لكونه ثانياً بالقياس إلى الأول (في أول ظهوره) وبالظل المستوي أيضاً لاستوائه في الوضع

---

(١) د. منى سالم محمد السيد محمد سلام، بحث بعنوان (رصد الأهلة في ظل تطور علوم الفلك والفضاء، دراسة فقهية)، منشور في مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، العدد٤٢، القاهرة، ٢٠٢٣م، ص٦٥١.

(٢) د. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الثاني، ط١، تحقيق: د. رفيق العجم، د. علي دحروج، د. عبد الله الخالدي، د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٥٠.

وانطباقه على سطح الأفق، وبالظل المبسوط لانبساطه على سطح الأفق، وهذا هو المشهور.

وبعضهم يسمى الظلّ المستوي أولاً والمعكوس ثانياً لأن المستوي يعرف أول الأمر بلا تأمل، بخلاف المعكوس فإنه يحتاج في معرفته إلى مزيد من التأمل، والظل الأول يبتدئ في أول طلوع النير يزيد شيئاً فشيئاً، وغاية زيادته في نصف النهار ثم يتناقص تدريجاً حتى ينعدم عند وصول النّير إلى الأفق عند الغروب؛ فإن كان النّير في نصف النهار على سمت الرأس كان الظلّ الأول غير متناه يعني أنه لو كان بإزائه جسم غير متناه قابل للنور لكان مستظلاً بظل غير متناه، والظل الثاني يكون عند طلوع النيّر غير متناه ثم يتناقص إلى بلوغ النيّر نصف النهار، فهناك غاية النقصان، ثم يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يصير غير متناه عند غروب النيّر فإن كان النيّر في نصف النهار على سمت الرأس لم يوجد الظلّ الثاني أصلاً؛ وقد يقسم مقياس الظل الثاني باثني عشر قسماً ويسمى أقسامه أصابع لأن اثنى عشر إصبعاً مقدار شبر وهو غالب مقدار المقياس؛ فإن من أراد أن ينصب عموداً على سطح الأفق أو على سطح[١].

والحاصل أن تعريف الظل من وجهة نظر علماء الفلك يأتي بناءاً على نوعه ودرجته فالظل في نظرهم إما أول أي الظل في بداية ظهوره ويكون أقل ارتفاعاً وأخف مما يليه، ثم الظل الثاني وهو أشد ارتفاعاً من سابقه ثم اختلفوا في الظل المستوى والظل المعكوس ومذهبهم أن المستوي هو الأول والمعكوس هو الثاني، وهي تعريفات تعتمد اعتماداً أساسياً على ما يستخدمه علماء الفلك من أداوت وأجهزة من خلالها تبين لهم أن الظل درجات وأنواع ولكل نوع ودرجة ميزة وخصيصة تنفرد بها عن غيرها. ومن الإعجاز العلمي للقرآن أنه أوضح للمتدبر والمتأمل قبل وجود هذه الأجهزة واكتشافها

(١) د. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مرجع سابق، ص١٥١.

أن هذه الآية الكونية(الظل) ليست على وتيرة واحدة بل تتفاوت قوة وضعفاً انخفاضاً وارتفاعاً بحسب مركزية الشمس في السماء.

ثانياً- مفهوم الظل في الاصطلاح الديني:

يُعد مفهوم الظل من المفاهيم التي وردت في النصوص الشرعية، سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وله دلالات متعددة تتعلق بالراحة، والوقاية، والعقاب، والنعيم، ومن هنا تنبع أهمية تعريف الظل في الاصطلاح الديني؛ حيث يمكن أن يشير إلى الرحمة، أو العقوبات التي يتعرض لها العصاة يوم القيامة.

ويُعرف الظل في الاصطلاح على أنه: "هو صورة الجسم المنعكس إليه نور، أو يمكن تعريفه بأنه: آثار حجب الأجسام ضوء الشمس من الوقوع على الأرض، أو هو ما نسخته الشمس، وهو من الطلوع إلى الزوال، أو هو: الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور، الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها، فبستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بضوئها فصار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه، أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، ووجود الراحة خلف الحجاب" [١].

وقيل في تعريفه: "بأنه ما نسخته الشمس، وهو من الطلوع إلى الزوال" ؛ وقد ذكر المفسرون أن الظل: " هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة، وهو يحدث على وجه الأرض منبسطاً فيما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس، ثم إن

---

(١) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٤٤.

الشمس تنسخه وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال، ثم هو ينسخ ضوء الشمس من وقت الزوال إلى الغروب، ويسمى فيئاً[١].

وهذه الحالة أطيب الأحوال[٢]؛ لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع، وينفر عنها الحس، وأما الضوء الخالص، وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري، وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية؛ فإذن أطيب الأحوال هو الظل، ولذلك وصفت الجنة به؛ فقال عز وجل **(وَظِلٍّ مَمْدُودٍ)** [٣].

ويتحدد تعريف الظل في الاصطلاح الديني وفقاً للسياق الذي يراد فيه في النصوص الشرعية، ويمكن تقسيم معانيه إلى قسمين رئيسيين:

١-الظل بمعنى الحماية والرحمة:

بين سبحانه وتعالى أن الظل من النعم العظيمة، والمنافع الجليلة، والآيات الكبرى والتي تدل على عظمة الباري سبحانه وتعالى، قال تعالى في كتابه الكريم ((**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**)) [٤]، فهذه الآية

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الأول، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (٢/٣٣٥).

(٢) الامام محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي "المشهد بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" ، الجزء الأول، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م، (٢٤/٤٦٤).

(٣) سورة الواقعة الآية (٣٠).

(٤) سورة النحل الآية (٨١).

وردت في سورة النحل التي تسمى سورة النّعم[١]، فعدّد الله في هذه الآية من نعمه ما شرح فيها، فمنها الظلال التي تقي من حر الشمس الذي لا تحتمله الأبدان، ولا يبقى معه ولا دونه انسان من شجر، وحجر، وغمام، ومن جملتها الجبال[٢].

ففي الآية امتنان بنعمة الإلهام إلى التوقي من أضرار الحرّ، والقرّ في حالة الانتقال، وأعقبت به المنة بذلك في حالة الإقامة والسكنى، وبنعمة خلق الأشياء التي يكون بها ذلك التوقي باستعمال الموجود، وصنع ما يحتاج إليه الانسان من اللباس؛ إذ خلق الله الظلال صالحة للتوقي من حر الشمس، وخلق الكهوف في الجبال ليمكن اللجوء إليها، وخلق مواد اللباس مع الإلهام إلى صناعة نسجها، وخلق الحديد لاتخاذ الدروع للقتال[٣].

وحيث يشير إلى ظل رحمة الله وعنايته بعباده؛ حيث ورد في الحديث الشريف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ

(١) الإمام بدر الدين أبن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م، (٢٩٦/١).

(٢) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر العربي، أحكام القرآن، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (٢١٦/٥).

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٢١م، (٢٣٨٠/١).

وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١)

قال النووي رحمه الله: "قال القاضي، ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس، ووهج الموقف وأنفاس الخلق" .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي») (٢)

واختلف العلماء رحمهم الله في معنى (الظل) في قوله عليه الصلاة والسلام (في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، فذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالظل: ظل العرش، فيحمل المطلق في الأحاديث على المقيد، فكل حديث فيه إضافة الظل إلى الله تعالى، فالمقصود به ما قيد في الأحاديث الأخرى بظل العرش. (٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (ج١/ ص ١٣٣) رقم (٦٦٠) كتاب الأذان _ باب من جلس في المسجد ينظر الصلاة- تحقيق جماعة من العلماء - المطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ. ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة - (ج٢/ ص ٧١٥) رقم (١٠٣١)- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة- وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – (ج ٤/ ص ١٩٨٨) رقم (٢٥٦٦)- كتاب البر والصلة والآداب – باب في فضل الحب في الله.

(٣) ينظر: عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب الحسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ محمود بن شعبان بن عبد المقصود وأخرون، ط١، مكتب تحقيق دار الحرمين بالقاهرة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م، (٦٤/٤).

وأختار آخرون أن المراد بالظل: شـــيء يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم يظلل به من يشـــاء من عباده. (١).

وأقرب الأقوال للصواب القول الأول وهو الذي عليه أكثر الشراح والعلم عند الله.

٢-الظل بمعنى العقوبات في الأخرة:

فقد أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل الضـــار، وهو ظل العذاب والعقوبات في الأخرة؛ فقد جاء بمعنى ظل الدخان الأسود، قال تعالى (**وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ، لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ**) (٢)، ورد في كتاب جامع البيان في تفســـير القرآن للإمام الطبري: "فعن عباس ومنصـــور عن مجاهد" وظل من يحموم "، قالا: دخان، وحدثنا بشـــر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا ثنا سـعيد عن قتادة" وظل من يحموم "كنا نتحدث أنها ظل الدخان، وقال: قال ابن زيد في قوله تعالى" وظل من يحموم "، قال: ظل الدخان دخان جهنم، وقوله:" لا بارد ولا كريم "، يقول تعالى ذكره، ليس ذلك الظل ببارد كبرد ظلال ســائر الأشــياء؛ ولكنه حار؛ لأنه دخان من ســعير جهنم، وليس بكريم لأنه مؤلم من اســتظل به" ، وعن قتاده، قوله "لا بارد ولا كريم" ، قال: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر " (٣).

والشاهد:- أن الآية هي وصف حال أهل الشمال يوم القيامة والظل جاء في حقهم ليس كما توقعوا من ظلال الدنيا التي كانوا يستظلون بها لاتقاء حرقة الشـمس وإنما جاء

---

(١) أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد الثامن من مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، محمد عبد الرحمن بن قاسم، دون دار نشر، ٢٠١٤م، (٤٩٧/٨).

(٢) سورة الواقعة الآية (٤٣-٤٤).

(٣) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفســـير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحســـن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراســـات العربية والإســـلامية بدار هجر، ج٢٣، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ٢٠٠١م، القاهرة، ص٨٧ وما بعدها.

عكس التوقع، حيث كان ظل شـــديد الســـواد كالظل الخانق الناجم عن الحرائق الهائلة. وهو بالنسبة لهم يوم القيامة لا بارداً ولا مريحاً فهو ظل من نار ليس به رحمة ولا وقاية.

وقد أتى كذلك بمعنى الظل ذي ثلاث شـعب؛ كما في قوله تعالى: **(انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ)** [١]، أورد الإمام الطبري في تفسـيرها ما يلي: يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بهذه النعم والحجج التي احتج بها عليهم يوم القيامة "انطلقوا إلى ما كنتم به" في الدنيا "تكذبون" من عذاب الله لأهل الكفر به "انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب" يعني سبحانه تعالى: إلى ظل دخان ذي ثلاث شعب "لا ظليل" ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر، فإذا تصاعد تفرق شعباً ثلاثاً، فذلك قوله: "ذي ثلاث شعب" [٢].

وجاء عذاب يوم الظلة "سـحابة سـوداء" ، يقول الله سـبحانه وتعالى **(فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** [٣]، فمن أمثلة "ظل العذاب" في الدنيا ما أخبر به القرآن الكريم عن عذاب قوم شـــعيب في قوله تعالى **(فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ)**؛ فقد جاء في تفسير روح المعاني للألوسي ما يلي: "فكذبوه" فاســـتمروا على تكذيبه وكذبوه تكذيباً بعد تكذيب **(فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ)** وذلك على ما أخرج بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس أن الله تعالى بعث عليهم حراً شـــديداً فأخذ بأنفاســـهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم فخرجوا منها هرباً إلى البرية، فبعث الله تعالى عليهم سحابة فأظلتهم

---

(١) سورة المراسلات الآية (٣٠).

(٢) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفســـير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحســـن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراســـات العربية والإســـلامية بدار هجر، مرجع سابق، ص ٨٨ وما بعدها.

(٣) سورة الشعراء الآية (١٨٩).

من الشمس وهي الظلة فوجدوا لها برداً ولذة فنادى بعضهم بعضاَ حتى إذا اجتمعوا تحتها أسـقطها الله عز وجل عليهم ناراً فأكلتهم جميعاً، وجاء في كثير من الروايات أن الله عز وجل سلط عليهم الحر سبعة أيام ولياليهن ثم كان ما كان من الخروج إلى البرية وما بعده وكان ذلك على نحو ما اقترحوه لا سيما على القول بأنهم عنوا بالسماء السحاب، وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم عذباً آخر غير عذاب الظلة وفي ترك بيانه تعظيم لأمره " [١].

والحاصل أن الظل في الاصطلاح الديني وبالتحديد الإسلامي له دلالات متعددة تتفاوت بحسب سياق الآية أو الحديث الذي ورد فيه لفظ الظل، إلا أنها كلها تشترك في االتنبيه والإشارة إما إلى رحمة أو عقوبة وإن كان هذا أو ذاك فكلاهما دلالة واضحة على أن الظل آية كونية تدل على سلطانه تعالى وعظمته وإبداعه ونظامه في خلقه وهذا لايتأتى من غير صانع عليم حكيم خبير بعباده.

---

(١) العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، مج١٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٩٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

الدلالات العقدية لظاهرة الظل

يُعد القرآن الكريم معجزة الله تعالى في الأرض، وباقية إلى قيام الساعة فيها دلائل قدرته سبحانه وتعالى، وآياته بالغة الكمال في الإعجاز، ومنها آيات الظل في القرآن الكريم؛ فقد ورد فيه نصوص نبهت القارئ والسامع إلى فضله وأهميته في الحياة الدنيا، ونصوص بينت كيفية تكوينه، وحركته في الطبيعة، فهو بذلك يتضمن اعجاز علمي لوصفه هذه الظاهرة بشكل دقيق والتي نشهدها بشكل يومي، فضلاً عن ذلك فإن القرآن الكريم بيّن بأن الظل قد يكون أحد أسباب الرفاهية، ومن صور السعادة في الدنيا والآخرة، أو قد يكون أحد أساليب العذاب والتخويف والتنكيل بكل من كذّب وأبى في الدنيا والأخرة، بذكر صور ومشاهد تجعل الظل أحد أبرز عناصرها، لبيان أحوال أفرادها وما هم عليه من نعيم وروح وراحة، أو عذاب جهنم، وما فيه من طبقات متراكمة من النار ودخانها[١].

وانطوى القرآن الكريم على آليات البرهنة والوجدان في توضيح المنهج الإلهي وسننه الحكيمة، ومن تلك الآليات ما زخرت به آياته الكونية وفرائدها العلمية مصداقاً حيا يومئ إلى الإعجاز القرآني بكمائنه النظامية التي تمثل خروجاً من القوة إلى الفعل: أي من الكمون إلى الظهور بملاحظة الاستمرار الحركي في التجدد المعنوي للقرآن؛ إذ تتواصل عندها عملية الربط بين علة الإعجاز الخفية ومعلوله وهو استنباط المعنى تفسيراً وتأويلاً، ومع ذلك فلا نصل إلى سر الإعجاز إلا بفتح الكامن الأخير له بملاحظة هيمنته على

---

(١) د. أمل كاظم زوير الزيدي، بحث بعنوان (آيات الظل في القرآن الكريم)، منشور في مجلة التراث العلمي العربي، مج١٩، العدد الثالث، العراق، ٢٠٢٢م، ص١٢٩.

الظاهرة الكونية ومنها (الظلّ)، وبما أن هذه العملية مستحيلة في الوقت الحاضر فلذا يتحول استشراف فعالية هذه الكمائن إلى تقاربات تفسيرية وفكرية متأملة وجادة[١].

وبذلك **سوف نتناول** هذا المبحث في ثلاثة مطالب، خصّصنا المطلب الأول: الظل ودلالته على وجود الصانع، وبيّنا في المطلب الثاني: أنواع الظل ودلالتها على وجود الصانع وحكمته وتدبيره، ووضحنا في المطلب الثالث: علاقة الظل بالظواهر الكونية على قدرته تعالى وإبداعه.

(١) د. مشكور العوادي، بحث بعنوان (الإعجاز العلمي للآيات الكونية)، منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد التاسع، العراق، ٢٠٠٨م، ص٣.

المطلب الأول

الظل ودلالته على وجود الصانع

نبهت النصـــوص القرآنية إلى كيفية تكوين الظلال وحركتي الظل إجمالاً، وهذا دليل قاطع على وجود صـانع؛ حيث ركزت الآيات القرآنية على وقتي الغدو والآصـال، فالحركة الأولى للظل هي حركة الانتقال من جهة الغرب إلى جهة الشـرق، والحركة الثانية هي حركة الظل بالامتداد والانقباض، وهاتان الحركتان متلازمتان ومتزامنتان في الوقت نفسـه، يقول الله سـبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْـجُدُ مَن فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾[١].

فمعنى الغدوة والغداة هو: "سـير أول النهار" ، الذي يغدو فيه الناس، أي يخرجون إلى حوائجهم، وقوبل في القرآن الغدو بالآصال، وهي: "العشايا" ؛ إذ للعشية، أصيل وأصيلة، فجمع الأصيل أُصُل وآصال، والعشي: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، ومعنى سـجود الظلال أن الله خلقها من أعراض الأجسـام الأرضـية، فهي مرتبطة بنظام انعكاس أشـعة الشـمس عليها، وانتهاء الأشـعة إلى صـلابة وجه الأرض، ولو جعل الله تعالى الشـمس شمسـين متقابلتين على السـواء لانعدمت الظلال، ولو جعل وجه الأرض شـفافاً أو لامعاً كالماء لم يظهر الظل عليه بيّناً، فهذا من دلائل دقة الصـنعة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى[٢].

---

(١) سورة الرعد الآية (١٥).

(٢) أبو القاسـم الحسـين بن محمد المعروف بالراغب الأصـفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سـابق، ص٧٨-٦٠٣.

وجاء في تفسير هذا النص القرآني قولان: الأول، كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً؛ فإن ظله يسجد لله سبحانه وتعالى؛ فقد روي عن مجاهد رضي الله عنه، بأن ظل المؤمن يسجد لله وهو طائع، وظل الكافر يسجد لله كرهاً وهو كاره، وقيل: إن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله، فالظلال واقعة على الأرض وقوع الساجد، فإذا كان من الناس ما يأبى السجود لله أو يتركه اشتغالاً عنه بالسجود للأصنام؛ فقد جعل الله أمثاله شاهداً على استحقاق الله السجود إليه شهادة رمزية، وقال بعض العلماء بأنه لا يستبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولاً وأفهاماً تسجد بها وتخشع؛ كما جعل الله تعالى للجبال أفهاماً حتى اشتغلت بتسبيح الله تعالى، وحتى ظهر أثر التجلي فيها؛ كما قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[١].

والقول الثاني: أن المراد من سجود الظلال هو ميلانها من جانب إلى جانب، وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس، فهي منقادة مستسلمة في طولها وقصرها، وميلانها من جانب إلى جانب، وإنما خصص الغدو والآصال بالذكر دون بقية الأوقات الأخرى؛ لأن الظلال إنما تعظم وتكثر في هذين الوقتين[٢]؛ وقد ذكر

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٢) أبو زكريا يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي الفراء، معاني القرآن للفراء، ط١، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دون تاريخ نشر، (٢/٦١).

الله تعالى في كتابه الكريم حركتا الظلال أيضاً، قال تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾[١].

والشاهد: – أن للناس في جميع المخلوقات من إنسان وحيوان وأشجار وجبال وكل شيء له ظل عبرة وعظة؛ فالظل يتحرك يميناً وشمالاً، وينتقل ذهابا وإياباً بسبب حركة الشمس وفي هذا إظهار لدقة نظام الكون وعظمة الخالق. فالظل من الآيات الكونية البديعة التي لا تدخل للبشر فيها وإنما تتحرك وتنتقل خاشعة خاضعة للصانع ذليلة أمام عظمته تعالى في حين كونها لا تملك عقلاً ولا نطقاً وهذا من عجيب صنعته تعالى وعظمة قدرته ودليلاً واضحاً على وجود صانع قدير.

وقد بيّن القرآن الكريم كيفية تكوين الظلال، وحركتها في الطبيعة، بشكل تفصيلي في قول الله تبارك وتعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**﴾[٢]، إن القرآن الكريم يوجه العقول والقلوب دائماً إلى مشاهد هذا الكون لتأملها ومنها الظلال، وكيف مدّ الله سبحانه وتعالى الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن المشرق إلى المغرب، ويكون أول النهار على حال، ويتقلص ثم يعود في آخر النهار على حال آخر؛ ولكن الظل إذا لحقته الشمس قُبض قبضاً يسيراً، أي: هيناً خفياً، والقبض، خلاف البسط، ويقال: انقبض الشيء أي صار مقبوضاً، وتقبضت الجلدة في النار أي أنزوت[٣].

---

(١) سورة النحل الآية (٤٨).

(٢) سورة الفرقان الآية (٤٥).

(٣) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مرجع سابق، (٢٩٧/٢).

أي أن العلاقة بين الشمس والظلال وطيدة ومتلازمة، فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر، وهذا فيه أعظم دليل على وحدانيته تعالى، فبناء الكون على هذا النسق، وتنسيق المجموعة الشمسية هذا التنسيق، هو الذي جعل الظل متحركاً هذه الحركة اللطيفة، ولو اختلف ذلك النسق أقل اختلاف لاختلفت آثاره في الظل الذي نراه، فلو كانت الأرض ثابتة لسكن الظل فوقها لا يمتد ولا يقبض، ولو كانت سرعتها أبطأ، أو أسرع مما هي عليه لكان الظل في امتداده وقبضه أبطأ أو أسرع، فهذا الإبداع والإعجاز في دقة الخلق هو الذي يسمح بظاهرة الظل ويمنحها خواصها التي نراها كل يوم[١].

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾[٢]، قال الفخر الرازي في كتابه[٣]: "أعلم أنه تعالى لما بين جهل المعرضين عن دلائل الله تعالى وفساد طريقهم في ذلك ذكره بعده أنواعاً من الدلائل على وجود الصانع، والنوع الأول: الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال إلى حال، وفيه مسائل نذكرها كالتالي: المسألة الأولى: قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ)) فيه وجهان: أحدهما، أنه من رؤية العين، والثاني: أنه من رؤية القلب يعني العلم، فإن حملناه على رؤية العين فالمعنى ألم تر إلى الظل كيف مده ربك وإن كان تخريج لفظه على عادة العرب أفصح، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزَّجَّاج، فالمعنى ألم تعلم وهذا أولى وذلك أن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق؛ ولكنه

---

(١) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ، (٢٥٦٨/٥).

(٢) سورة الفرقان الآية (٤٥).

(٣) الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي "المشهد بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" ، ج٢٤، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص١٦٤.

معلوم من حيث إن كل متغير جائز فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذه الوجه" . **المسألة الثانية:** المخاطب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ؛ ولكن الخطاب عام في المعنى لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في أنه يجب تنبههم لهذه النعمة وتمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع عز وجل. **المسألة الثالثة:** الناس أكثروا في تأويل هذه الآية والكلام الملخص يرجع إلى وجهين في هذه المسألة: **الأول–** أن الظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس، وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهذه الحالة أطيب الأحوال؛ لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس، وأما الضوء وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية؛ فإذن أطيب الأحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال ﴿ **وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾ وإذا ثبت هذا فنقول أنه سبحانه بين أنه من النعم العظيمة والمنافع الجليلة، ثم إن الناظر إلى الجسم الملَّون وقت الظل كأنه لا يشاهد شيئاً سوى الجسم وسوى اللون، ونقول ليس أمراً ثالثاً، ولا يعرف به إلا إذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم زال ذلك الظل، فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً وماهية لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها، فلولا الشمس لما عرف الظل، ولولا الظلمة لما عرف النور؛ فكأنه سبحانه وتعالى لما طلع الشمس على الأرض وزال الظل، فحينئذ ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون، فلهذا قال الله سبحانه وتعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ص أي خلقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم إنا هدينا العقول إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة، ثم قبضناه أي أزلنا الظل لا دفعه بل يسيراً فإنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب

المغرب، ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيراً يسيراً فكذا زوال الإظلال لا يكون دفعة بل يسيراً يسيراً؛ ولأن قبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح؛ ولكن قبضها يسيراً يسيراً يفيد معه أنواع مصالح العالم، والمراد بالقبض الإزالة والإعدام، وهذا أحد التأويلين. **الثاني–** وهو أنه سبحانه وتعالى لما خلق الأرض والسماء وخلق الكواكب والشمس، والقمر وقع الظل على الأرض، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلاً عليه وذلك لأن بحسب حركات الأضواء تتحرك الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر؛ وكما أن المهتدي يهتدي بالهادي والدليل يلازمه، فكذا الأظلال كأنها مهتدية وملازمة للأضواء فلهذا جعل الشمس دليلاً عليها.

وأما قوله: ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً فإما أن يكون المراد منه انتهاء الأظلال يسيراً يسيراً إلى غاية نقصانها، فسمي إزالة الأظلال فبضاً لها أو يكون المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة، وذلك بقبض أسبابها وهي الأجرام التي تُلقي الأظلال، وقوله: يسيراً هو كقوله ﴿ **ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾[1]، فهذا هو التأويل الملخص " . **المسألة الرابعة:** وجه الاستدلال به على وجود الصانع المحسن أن حصول الظل أمر نافع للأحياء والعقلاء، وأما حصول الضوء الخالص، أو الظلمة الخالصة، فهو ليس من باب المنافع، فحصول ذلك الظل، إما أن يكون من الواجبات أو من الجائزات، والأول باطل وإلا لما تطرق التغير إليه؛ لأن الواجب لا يتغير فوجب أن يكون من الجائزات، فلابد له في وجوده بعد العدم، وعدمه بعد الوجود من صانع قادر مدبر محسن يقدره بالوجه النافع، وما ذاك إلا من يقدر على تحريك الأجرام العلوية وتدبير الأجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الأحسن والترتيب الأكمل، وما هو إلا الله سبحانه وتعالى؛ فإن قيل: الظل

(١) سورة ق الآية (٤٤).

عبارة عن عدم الضوء عما شأنه أن يضيء، فكيف استدل بالأمر العدمي على ذاته، وكيف عده من النعم؟ قلنا: الظل ليس عدماً محضاً، بل هو أضواء مخلوطة بظُلَم، والتحقيق أن الظل عبارة عن الضوء الثاني وهو أمر وجودي، وفي تحقيقه وبسطه كلام دقيق يرجع فيه إلى كتبنا العقلية[١].

وفي نفس الإطار قال "أبن عادل" في كتابه اللباب في علوم الكتاب[٢]، في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾[٣]، " لما جهل المعرضين عن دلائل التوحيد، وبين فساد طريقهم ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع، فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه، وتغير أحواله قوله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ**)) فيه وجهان: أحدهما: أنه من رؤية العين، والثاني: أنه من رؤية القلب، يعني العلم؛ فإن حملناه على رؤية العين، فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج، فالمعنى: ألم تعلم، وهذا أولى؛ لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر، فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه.

---

(١) الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي "المشهد بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ط١، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٥٤١.

(٣) سورة الفرقان الآية (٤٥).

وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى؛ لأن المقصود بيان نعم الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعمة و((كيف)) منصوبة بـ((مد))، وهي معلقة لـ((تر)) فهي في موضوع نصب؛ وقد تقدم القول في((**أَلَمْ تَرَ**)).

فالظل عبارة عن عدم الضوء مما شأنه أن يضيء، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً؛ لأنه ظل لا شمس معه؛ كما قال في ظل الجنة﴿ **وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾؛ إذ لم يكن معه شمس ((**وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا**)) أي دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهبه الشمس[١].

وقال أبو عبيدة: " الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة، والفيء ما نسخ الشمس، سمي فيئاً؛ لأنه فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق ((**ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا**))، أي على الظل دليلاً، ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرفت الظل، ولولا النور ما عرف الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

كذلك قال الزمخشري: فإن قلت " (ثم) في هذين الموضوعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاث، كأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما تشبيهاً لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بينهما في الوقت[٢].

قوله ((**ثُمَّ قَبَضْنَاهُ**)) يعني: الظل ((**إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**)) بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس،

---

(١) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ص٥٤٢.

(٢) العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ نشر.

فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءاً فجزاء ((**قَبْضًا يَسِيرًا**)) أي: خفياً، وقيل المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة، وذلك قبض أسبابها، وهي الأجرام التي تلقي الظلال، وقوله ((**يَسِيرًا**) كقوله ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾[١]، وقوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾[٢]، هذا هو النوع الثاني شبه الليل من حيث يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن، ونبه على ((مالنا في)) من النفع بقوله ((والنوم سباتاً))، والسبات: هو الراحة، أي: راحة لأبدانكم، وقطعاً لعملكم، وأصل السبت: القطع، والنائم مسبوت؛ لأنه انقطع عمله وحركته[٣].

(١) سورة ق الآية (٤٤).

(٢) سورة الفرقان الآية (٤٧).

(٣) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ص٥٤٣.

المطلب الثاني

أنواع الظل ودلالتها على عظمة خلقه وتدبيره

إذا كان الظل نعمة من نعم الدنيا، فهو كذلك لون من ألوان النعيم للطائعين في الآخرة، فهو نعيم يضارع الأنهار الجارية، والقطوف الدانية، والكواعب الأتراب، والولدان المخلدين، بل إن بعض آيات القرآن الكريم تقدم الظلال في الذكر على غيرها من صنوف نعيم الجنة، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾[١]، فالظل نعمة من نعم الله عز وجل على خلقه في الدنيا والآخرة، وبناءً على ذلك فقد ورد في القرآن الكريم نصوص قرآنية ذُكر فيها أنواع الظل، سواء أكان ذلك في الحياة أو في الحياة الآخرة، وهذا ما سنوضحه في الأسطر التالية.

أولاً– الظل في الحياة الدنيا:

تحدث القرآن الكريم عن الظل في الحياة الدنيا بوصفه نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على عباده؛ كما أخبر القرآن الكريم بأن الظل مخلوق يسبح ويسجد لله تعالى، وفي القصص القرآني نرى أن الظل ملاذاً أوى إليه موسى عليه السلام بعد سقيه للفتاتين؛ كما نرى الظل نفسه عذاباً للمكذبين من قوم شعيب عليه السلام.

وقد وصف القرآن الكريم الظل الدنيوي أوصافاً دقيقه فصلتها الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ**

(١) سورة المرسلات الآية (٤١).

﴿تُسْلِمُونَ﴾[١]؛ حيث ذكرت الآية الكريمة الظل في سياق الحديث عن نعم الله تعالى على عباده فيما يتصل بالسكنى، والاستقرار، ووسائل الراحة، ففي الآية السابقة لهذه الآية قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ**﴾[٢].

فكما أن البيوت الثابتة نعمة، والخيام المتنقلة نعمة؛ وكما أن الكهوف في الجبال نعمة، والملابس نعمة، والدروع في الحرب نعمة، كذلك الظل من النعم التي أتمها الله سبحانه وتعالى على خلقه، وجعلها موجبة للإيمان به والانقياد له؛ وقد جاء في تفسير الطبري أن المعنى في الآيات؛ أنه قال كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم، فكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون بأن تخضعوا لله بالطاعة، وتخلصوا له العبادة[٣]؛ وقد حوت الآيتان من حسن العرض وقوة الإقناع وإقامة الحجة ما يدفع إلى الإيمان بالمنعم والتسليم لمراده وحسن صنيعه.

---

(١) سورة النحل الآية (٨١).

(٢) سورة النحل الآية (٨٠).

(٣) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الخرساني، دار المعارف، (٢٧٠/١٧).

وروي أن أعرابيا سمع هاتين الآيتين فقال عند كل نعمة[١]: "اللهم نعم، فلما سمع لعلكم تسلمون: قال:" اللهم هذا فلا " ، فتلت قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [٢].

وتعبير القرآن الكريم بالجعل والخلق في حق الظل له دلالته، فالظلال ليست عدماً محضاً، وإنما هي مخلوق له وجوده وفائدته، وكذلك الإتيان بصيغة الجمع (الظلال) يدل على تنوعها بتنوع الأجسام المحدثة لها من جبال، وسحب، وأشجار، ومباني وغيرها؛ كما يلاحظ هنا براعة التعبير القرآني ومقدرته على مراعاة أحوال المخاطبين من العرب، وطبيعة أحوالهم ومعيشتهم.

جاء في تفسير البغوي: " إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال تعالى ﴿ **وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا**﴾ وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر، وقال ((**تَقِيكُمُ الْحَرَّ**)) وما تقي من البرد أكثر؛ ولكنهم كانوا أصحاب حر شديد [٣].

ومما يزيد من براعة التعبير وقوة التأثير في الآيتين ما تحسه من تناغم إيقاعي واضح من توالي الكلمات المنتهية بالكاف والميم (بيوتكم، ظعنكم، إقامتكم)، ثم تتابع

---

(١) أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، تحقيق: زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٥/٥٤٢).

(٢) سورة النحل الآية (٨٢).

(٣) محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، المجلد الأول، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيميرة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ، (٥/٣٦).

الكلمات المنتهية بالهاء والألف (أصوافها، أوبارها، أشعارها)، كذلك ابتداء الآية الثانية بجملتين متساويتين في الإيقاع منتهيتين بالحر نفسه، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا**﴾، أضف إلى ذلك تكرار كلمتي (سرابيل، تقيكم)، ناهيك عن السجع الرصين غير المتكلف في ختام الآيتين، كل ذلك أحدث تناغماً واضحاً جعل الكلمات تتوالى في تألف وانسجام.

ومن الآيات التي تدل على أن الظل نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى وتدل على وجود الصانع، وتوضح أهميته في قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾[1]، فقوله سبحانه وتعالى ((**وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ**)) يشير إلى أهمية الظل كنعمة لله على عباده؛ حيث ذكره مع نعم البصر، والنور، والحياة في سياق ضرب الأمثال لحال المؤمنين والكافرين، قال قتادة: " هذه كلها أمثال، أي كما لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر[2].

فقد ضرب سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الظل مثلاً لأثر الإيمان، وضده هو الحرور مثلاً لأثر الكفر، والظل مكان النعيم في عرف السامعين الأولين؛ وقد قوبل بالحرور لأنه مؤلم ومعذب في عرفهم، فحال المؤمن يشبه حال الظل تطمئن فيه المشاعر،

---

(١) سورة فاطر الآيات (١٩-٢٢).

(٢) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ط١، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (١٤/٣٠٤).

وتصدر فيه الأعمال عن تبصر وتريث، وإتقان، وحال الكافر يشبه الحرور تضطرب فيه النفوس، ولا تتمكن فيه القوى من التأمل والتبصر، وتصدر فيه الآراء والمساعي معجلة متفككة[١].

ومما يدل على أهمية الظل في هذا السياق أن بعض المفسرين ذكر أن المراد بالظل الجنة، وأن المراد بالحرور النار[٢]، فعلى هذا الرأي يكون القرآن الكريم قد عبر عن الجنة التي هي أقصى غايات النعيم بالظل مما يدل على قيمته وأهميته، ودليل واضح على بديع الصانع عز وجل.

ولأهميته كذلك قدمه القرآن الكريم على الحرور، ولم يؤخره كما في المثالين السابقين الذي قدم فيهما مثل الكافر (الأعمى)، و(الظلمات)، ولا يخفى أن من دواعي تقديم الظل مراعاة الفاصلة، وفواصل القرآن من متممات فصاحته، فلها حظ من الإعجاز [٣].

وتبدو دقة التعبير القرآني في اختيار كلمة (الحرور) دون (الحر)، فإلى جانب مناسبة الأولى لفواصل الآيات، فهي أكثر ملاءمة للمعنى لأن الحرور بصيغتها اللغوية تدل على شدة الحر، فناسب ذلك مقابلتها للظل الذي هو شدة اعتدال الجو؛ وكما أن

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ط١، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (٢٩٣/٢٣).

(٢) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، (٤٠٥/٢).

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٢٩٣/٢٣).

ظل الشمس لا يكون إلا نهاراً فكذلك الحرور، قال الأخفش: "والحرور لا يكون إلا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل" [١].

هذا وقد سلكت الآية سبيلاً بديعاً في استخدام أدوات العطف والنفي، فكل من الواوين الذين في قوله تعالى ((ولا الظلمات))، وقوله تعالى ((ولا الظل)) عاطف جملة على جملة، وعاطف تشبيهات ثلاثة كل تشبيه منها يجمع الفريقين، والتقدير، ولا تستوي الظلمات والنور، ولا يستوي الظل والحرور؛ وقد صرح بالمقدر أخيراً في قوله تعالى ((وما يستوي الأحياء ولا الأموات)).

وأما الثلاث واوات في قوله تعالى ((والبصير))، ((ولا النور))، ((ولا الحرور))، فكل واو منها عاطف مفرد، فهي ستة تشبيهات موزعة على كل فريق، فالبصير عطف على الأعمى، والنور عطف على الظلمات، والحرور عطف على الظل ولذلك أعيد حرف النفي، وأما أدوات النفي فاثنان منها مؤكدان للتغلب الموجه إلى الجملتين المعطوفتين المحذوف فعلاهما ((ولا الظلمات))، ((ولا الظل))، واثنان مؤكدان لتوجه النفي إلى المفردين المعطوفين على مفردين في سياق نفي التسوية بينهما وبين ما عطف عليهما وهما واو ((ولا النور))، و واو ((ولا الحرور))، فالتوكيد بعضه بالمثل وهو حرف ((لا)) وبعضه بالمرادف وهو حرف ((ما))، ولم يؤت بأداة نفي في نفي الاستواء الأول؛ لأنه الذي ابتدئ به نفي الاستواء المؤكد من بعد فهو كله تأييس، وهو استعمال قرآني بديع في عطف المنفيات من الجمل والمفردات[٢].

---

(١) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مرجع سابق، (٣٠٤/١٤).

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٩٣/٢٣- ٢٩٤).

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى سجود الظلال في موضع آخر في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩﴾[١]، فالآية تتحدث عن عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وعن سجود الكائنات لجلاله سبحانه وتعالى، وتذكر أم مما يسجد لله ظلال الأشياء؛ حيث تخضع لعزته وتذل لجبروته شاهدة على تفرده بالقدرة والوحدانية.

يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: " ومعنى سجود الظلال أن الله خلقها من أعراض الأجسام الأرضية، فهي مرتبطة بنظام انعكاس أشعة الشمس عليها، وانتهاء الأشعة إلى صلابة وجه الأرض حتى تكون الظلال واقعة على الأرض وقوع الساجد، فإذا كان من الناس من يأبى السجود لله أو يتركه انشغالاً عنه بالسجود للأصنام؛ فقد جعل الله مثاله شاهداً على استحقاق الله السجود إليه شهادة رمزية، ولو جعل الله الشمس شمسين متقابلتين على السواء لانعدمت الظلال، ولو جعل وجه الأرض شفافاً لامعاً كالماء لم يظهر الظل بيناً، فهذا من رموز الصنعة التي أوجدها الله وأدقها دقة بديعة، وجعل نظام الموجودات الأرضية متهيئة لها في الخلقة لحكم مجتمعة منها أن تكون رموزاً دالة على انفراده تعالى بالإلهية، وعلى حاجة المخلوقات إليه، وجعل أكثرها في نوع الانسان؛ لأن نوعه مختص بالكفران دون الحيوان والغرض من هذا الاستدلال الرمزي التنبيه لدقائق الصنع الإلهي كيف جاء على نظام مفرد دال بعضه على بعض[٢].

فالآية تدل على مظاهر الدقة في الصنعة الإلهية، تلك الدقة التي أجلى العلم الحديث بعضاً من مظاهرها في هذه الناحية ((سجود الظل))، فمن المعلوم أن من أهم

---

(١) سورة الرعد الآية (١٥).

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق (١٤/١١١-١١٢).

شروط السجود الحقيقي لله تعالى في الصلاة، التوجه إلى القبلة؛ وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن ظلال الأشياء تشير تماماً إلى اتجاه القبلة في أربعة أوقات محددة من العام[١]؛ وقد أفاد العلماء من هذه الظاهرة في تحديد اتجاه القبلة في كثير من المناطق[٢].

ويُعد هذا إعجازاً وسبقاً قرآنياً بكل المقاييس؛ حيث لم يكن يخطر ببال أحد يوم نزول القرآن الكريم وما ذكر فيه من سجود الظلال أن هذا السجود يمكن أن يكون إشارة وملمحاً إلى أن الظلال تدل وتشير إلى القبلة حيث مكة المكرمة[٣]، هذا وقد جمعة الآية إلى الإعجاز العلمي الإعجاز البياني والتصويري في التعبير عن استقصاء الساجدين؛ فقد ذكرت أنواع الساجدين من حيث المكان والزمان، وحالة السجود في عدد من الطبقات الرائعة والمميزة، ومنها:

١- من حيث الزمان ذكرت الآية الغدو والآصال، أي الصباح والعشي زمانين للسجود، فالغدو يمثل النهار والآصال تُمثل الليل، فلم يبقى ثم زمان لا سجود فيه.

٢- من حيث حالة السجود ذكرت الآية أن الساجدين إما أن يكونوا طائعين أو كارهين.

---

(١) هذه الأوقات تكون في أيام ١٦ يناير، ٢٩ مايو، ١٦ يوليه، ٢٩ نوفمبر من كل عام. محمود قاسم، مقالة بعنوان (الشمس تتعامد على الكعبة المشرفة)، منشورة في جريدة الأهرام، العدد الصادر بتاريخ ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٤م.

(٢) حسن بن محمد باصرة، مقالة بعنوان (تحديد القبلة بواسطة الشمس)، منشورة في مجلة الإعجاز العلمي الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجدة، العدد (١١)، جدة، ١٤٢٢هـ، ص٤٠-٤١).

(٣) يحيي وزيري، إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، الجزء الأول، الناشر المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الكويت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٣-٢٦.

٣- من حيث حالة السجود ذكرت الآية أن الساجدين إما أن يكونوا طائعين، أو يكونوا كارهين.

ثانياً- الظل في الحياة الآخرة:

أخبر القرآن الكريم أن في الآخرة ظلاً يتنعم به المتقون في جنات الخلد؛ وقد وصف القرآن الكريم هذا الظل بأنه ظل كثيف، دان غير بعيد، ودائم لا ينقطع، ممدود لا تنسخه الشمس؛ كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن للكافرين في سعيرهم نوعاً من الظل؛ لكنه ظل عذاب، فهو دخان أسود ليس بارد ولا كريم، وهو ظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب.

فالظل في الجنة لون من ألوان النعيم للمؤمنين، يقول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**﴾[١]، فالذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه في الدنيا يتمتعون في الآخرة بظلال ظليلة؛ حيث لا يصيبهم أذى ولا حر، ولا قر، وعيون ماء تجري خلال أشجارهم[٢].

ولعل الذكر الحكيم قد ذكر نعيم المؤمنين المتقين تنويهاً بشأنهم، وتعريضاً بالمشركين، وترغيباً لهم في الإقلاع عن شركهم لينالوا كرامة المتقين[٣]، ويلاحظ هنا أن البيان القرآني قدم الظل على غيره من ألوان النعيم كالفواكه اهتماماً به، واعتناءً بشأنه.

---

(١) سورة المرسلات الآية (٤١).

(٢) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، (١٤٣/٢٤).

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق (٤٤٣/٣٠).

وعبر عنه بصيغة الجمع (ظلال) إشارة إلى كثرتها، وذلك لكثرة أشجار الجنة، وكثرة المستظلين بها؛ ولأن لكل واحد منهم ظلاً يتمتع فيه، وذلك أوقع في النعيم، والتعبير بحرف الجر((في)) دون غيره لإفادة إحاطة الظل بأهل الجنة إحاطة شاملة كإحاطة الظرف بالمظروف.

يقول صاحب كتاب التحرير والتنوير: " وفي للظرفية، وهي ظرفية حقيقية بالنسبة للظلال لأن المستظل يكون مظروفاً في الظل، وظرفية مجازية بالنسبة للعيون والفواكه وغيرها[١].

ومن الآيات التي تتحدث كذلك عن الظل كنعيم لأهل الجنة قوله سبحانه وتعالى ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ**﴾[٢]، والضمير في الآية راجع إلى أصحاب الجنة المذكورين في الآية السابقة، فأصحاب الجنة يتمتعون في ظلال الجنة هو وأزواجهم في حال اتكائهم على الأرائك، وكون أصحاب الجنة في الظلال والنعيم؛ وقد جمعت الآية إليه ثلاثة ألوان أخرى من النعيم هي كونهم برفقة أزواجهم، وهن أزواج موصوفات بكمال الحسن، فيحصل بذلك الألفة ولإيناس، وكونهم على الأرائك التي هي أكثر راحة وترفيهاً من غيرها مما يجلس عليه، وكونهم متكئين حيث إن الاتكاء أكثر الأوضاع راحة واسترخاء، وجمع الظلال هنا لأجل مقابلته بالجمع وهم أصحاب الجنة فكل منهم في ظل أو ظله[٣].

ومن الآيات التي تذكر الظل نعيماً يتمتع به أهل الجنة قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ**

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق (٤٤٣/٣٠).

(٢) سورة يس الآية (٥٦).

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق (٤٢/٢٤).

﴿فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[١]؛ حيث ورد الظل الظليل في مقام تعديد نعيم أهل الجنة الذين أورثوها بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، فبدأ بالأنهار الجارية، ثم الخلود الأبدي، ثم الأزواج المطهرة، وختم بالظل الظليل، والذي يدل على بديع ودقة الصانع عز وجل.

وقد اختلف في المراد بالظل الظليل، فقيل هو العميق الكثير الغزير الطيب الجميل[٢]، وقيل: الظليل الذي يقي من الحر والبرد، أو الذي لا ينتقل كظل الدنيا، وقيل القوى المتمكن، وقيل: وإنما قال ((ظلاً ظليلاً)) لأن بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة، ولهذا المعنى جعل كناية عن الراحة، ووصف بالظليل مبالغة في الراحة[٣]، فالظل الظليل في الآية الكريمة كناية عن راحة أهل الجنة وما هم فيه من نعمة، وفيه من جهة اللفظ جناس الاشتقاق الذي يكسب الكلام جمالاً لفظياً ووقعاً موسيقياً.

كذلك قد ذكر القرآن الكريم العديد من صور ومشاهد للظل؛ ولكن هذه المرة كأحد أدوات التخويف والوعيد للفاسقين أصحاب القلوب القاسية، ومن ذلك قوله تعالى في أحداث قصة بني إسرائيل عندما أخذ الميثاق عليهم، تحت المعاينة الكاملة لبأس الله الشديد؛ إذ كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق؛ ولقد أمروا في ظل تلك الخارقة

---

(١) سورة النساء الآية (٥٧).

(٢) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط١، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (٣٣٨/٢).

(٣) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، مرجع سابق، (٢٧٥/٣).

القوية أن يأخذوا ميثاقهم بقوة وجدية، وأن يستمسكوا به[١]، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٢]، وأصل النتق قلع الشيء من موضعه، والرمي به، يقال: نتق ما في الجراب إذا رمى به وصبه، فمعنى نتقنا الجل أي قلعناه من أصله وجعلناه فوقهم، قال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله، حتى قام فوقهم كالظلة، أي كهيأة الغمام أو سقيفة، وظنوا أنه واقع بهم، وكان المعكسر تبلغ مساحته فرسخاً في فرسخ، والفرسخ يعادل تقريباً خمسة كيلوا متر، فأوحى الله إليهم أن أقبلوا التوراة، وإلا رميت الجيل عليكم، فلما راوا أنه لا مهرب من ذلك قبلوا التوراة بما فيها، وسجدوا للفزع سجوداً يلاحظون الجبل، فلذلك سجدت اليهود على أنصاف وجوههم، أي خر كل واحد منهم ساجداً على حاجبه الأيسر، وهو ينظر بعينه اليمنى خوفاً من سقوطه، فلذلك لا ترى يهودياً يسجد إلا على حاجبيه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى، ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة[٣].

والظل سواء في الدنيا والأخرة، هو أية من آيات الله عز وجل الدالة على قدرته وحكمته، فهو في الدنيا جزء من النظام البيئي المتقن، وفي الآخرة علامة على رحمة الله لعباده الصالحين، ومن تأمل في الظل وما يترتب عليه من أحكام وظواهر، أدرك أن الكون مسير بحكمة الخالق عز وجل.

---

(١) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ، (١٣٨٩/٣).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧١).

(٣) أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ط١، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد الحميد النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (٥٦٣/١).

المطلب الثالث

علاقة الظل بالظواهر الكونية دليل على قدرته تعالى إبداعه

أبرز الحقائق العلمية، ما أرشـــد إليه القرآن الكريم بدقة عالية لا متناهية عن مختلف الظواهر الفلكية كاختلاف الليل والنهار وجريان الشمس والقمر، وحركة الأجسام الســـماوية التي تقع خارج نطاق الأرض مثل الكواكب، والنجوم، والشـــهب، والنيازك بالإضافة إلى تحدثه عن ظاهرة الرتق والفتق، والتي هي أول بوادر نشأة الكون(١).

وفي هذا الصـــدد قال "روجر" وهو من أكبر علماء أمريكا في الفلك أن كل الدلائل والأدلة تثبت أن الأرض والسماء كانتا جسماً واحداً ثم أخذ ينفصل بعضه عن بعض(٢)، في حين أن القرآن الكريم دل على هذه الآية منذ حقبة من الزمن، قال الله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾(٣).

ونشير في هذا الصدد إلى ظاهرة الظل وتوسع الكون، تلك الفكرة التي اهتدى إليها علماء الفلك، عندما لاحظوا تغيير المسافات المرصودة بيننا وبين بعض الكواكب السديمية دائماً بسرعة تفوق سرعة الضوء ومعنى ذلك بالأسلوب العلمي أن مساحة الكون تتغير باســـتمرار إلى زيادة مطردة دائمة هذه الحقيقة الكونية الرائعة لم يتح إدراكها

---

(١) عصام بادني، نصر الدين خليل، بحث بعنوان (إشكالية ترجمة ألفاظ الفلك في القرآن الكريم)، منشور في مجلة جسور المعرفة، المجلد التاسع، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠٢٣م، ص٥٩.

(٢) أحمد المتولي، إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، الإصدار الثاني، دائرة ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية (٣٠).

للعلماء إلا بعد اكتشاف الأبعاد الكونية بمناظير مقربة إلكترونية وبعد أن غزا الانسان الفضاء للتأكد من تقديرات العلماء على الأرض وما كان معقولاً أن يدرك الانسان هذه الحقيقة قبل القرن العشرين(١).

وجدير بالذكر أن كل مظاهر الوجود الكونية كخلق السموات والأرض، والآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل، والقمر، والشمس، والنجوم، والظل هي علامات قدرة الله تعالى وعظمته في خلق هذا الكون في نظام بديع محكم.

فآيات القرآن الكريم تقتضي التدبر والتفكر فيها، والتفكر في خلق السماوات والأرض من أرقى العبادات.

قال تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾(٢)، فالاستفهام في قوله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا**﴾، للإنكار والتوبيخ، أي: كيف يرون هذا ولا يتعظون، ولا يعتبرون، والمقصود بالرؤية هنا هي الرؤية البصرية، أي إن الكفار رأوا هذه القدرة الإلهية بعيون رؤوسهم، وعقلوا حقيقة ما رأوا؛ ولكنهم لم يتعظوا، ومن هنا يأتي الإنكار عليهم، فهم رأوا ولكن كأنهم لم يروا ﴿ **مِن شَيْءٍ**﴾، أي: من كل شيء من جبال وأشجار، وإنسان، وحيوان وغيرها، تأكيداً على أن كل شيء خاضع لله سبحانه ﴿ **يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ**﴾، أي: يرجع، فإن الشمس إذا طلعت كان الظل في جهة المغرب، ثم يبدأ ينتقل حتى يكون في جهة المشرق أخر النهار، فيكون هنا معنى "يتفيأ" هو: يرجع الظل من جانب إلى جانب، والضمير في ﴿**ظِلَالُهُ**﴾ يعود إلى ﴿**مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾، وجمع "الظل" هنا؛ لأن الظلال متعددة بتعدد

(١) عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، ٢٠٠٩م، ص٧٠.

(٢) سورة النحل الآية (٤٨).

المخلوقات؛ لأن ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، جمع من جهة المعنى، وأفرد الضمير في ﴿ظِلَالُهُ﴾؛ لأن ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، مفرد من جهة اللفظ، وتفيؤ الظلال، تقلها من جهة إلى أخرى بعد شروق الشمس، وبعد زوالها، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾، أي: عن جانبي الأشياء[١]، وليس المراد التقييد بذلك؛ إذ أن الظل أحياناً يكون أمام الانسان، وأحياناً يكون خلفه، وإنما ذكر اليمين والشمائل اختصاراً للكلام، وأفرد اليمين؛ لأن المراد به جنس الجهة، كما يقال: المشرق، أي جهة المشرق، وجمع "الشمائل" مفرد شمال؛ لأن المقصود تعدد هذه الجهة باعتبار تعدد أصحابها[٢].

فلو نظرنا إلى الظل نجده نوعين: ظل ثابت مستمر، وظل متغير، فالظل الثابت دائماً في الأماكن التي لا تصل إليها أشعة الشمس، كقاع البحار، وباطن الأرض، فهذا ظل ثابت لا تأتيه أشعة الشمس في أي وقت من الأوقات، أما الظل المتحرك الذي يسمى الفيء؛ لأنه يعود من الظل إلى الشمس، أو من الشمس إلى الظل؛ إذن لا يسمى الظل فيئاً إلا إذا كان يرجع إلى ما كان عليه.

ويتكون الظل إذا ما استعرض الشمس جسم كثيف يحجب شعاع الشمس، فيكون ظلاً له في الناحية المقابلة للشمس، هذا الظل له طولان وله استواء واحد، طول عند الشروق إلى أن يبلغ المغرب، ثم يأخذ في التناقص مع ارتفاع الشمس، فإذا ما استوت الشمس في السماء يصبح ظل الشيء في نفسخ، وهذه حالة الاستواء، ثم تميل

---

(١) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ نشر، (١١٨/٥).

(٢) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٨م، (١٦٣/٨).

الشمس إلى الغروب، وينعكس طول الظل الأول من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق، وما يلفت انتباهنا قول الحق تبارك وتعالى في هذه الآية الكونية قولة تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**﴾[١].

فلو نظرنا إلى الظل وكيف يمتد، وكيف يتقبض وينحسر لوجدنا شيئاً عجيباً[٢]، فالله تعالى بسط الظل بعد طلوع الفجر، وقبل طلوع الشمس من المشرق إلى المغرب، ولو شاء لتركه دائماً ثم جعل الشمس تزيل منه بما يحل محله من أشعتها، فكانت الشمس دالة عليه ولولاها ما عرف الظل، ولو شاء الله تعالى لجعل الظل ساكناً مطبقاً على الناس فتفوت مصالحهم ومرافقهم، ففي هذه الآية دليل قوي على دوران الأرض حول نفسها، وأن هذا الدوران ضروري للكائنات الحية فوق الأرض؛ لأنها لو كانت غير متحركة لسكن الظل، ولم يتغير طولاً أو قصراً، ولا ظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الكرة الأرضية باستمرار، بينما يظل النصف الآخر ليلاً دائماً، وهذا ما يسبب اختلافاً كبيراً في التوازن الحراري على الأرض، ويؤدي ذلك إلى هلاك البشر من شدة الحرارة أو من شدة البرودة، والله سبحانه وتعالى قد جعل نسخ الظل بالشمس تدريجياً وبمقدار، ولم يجعله دفعة واحدة وفي ذلك منافع للناس تحفظ عليهم نظام حياتهم ونشاطهم[٣].

---

(١) سورة الفرقان الآية (٤٥-٤٦).

(٢) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي "الخواطر" ، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م، (١٣/٧٩٧٢-٧٩٧٣).

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، بيروت، دون تاريخ نشر، ص٨٢.

ومعنى الآية الكريمة في سورة النحل، أعمى هؤلاء المشركون الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، الذين مكرو السيئات، ولم يروا ما خلق الله تعالى من الأشياء ذوات الظلال، كالجبال، والأشجار وغيرها وهي تتنقل ظلالها من جانب إلى جانب، ومن جهة إلى جهة، باختلاف الأوقات، وهي في كل الأحوال والأوقات، كلها ساجدة لربها خاضعة لعظمته وجلاله، وهم ذليلون تحت التسخير، والتدبير، والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله سبحانه وتعالى وتدبيره عنده(١).

فمشهد الظلال تمتد وتتراجع، تثبت مرة وتتمايل مرة، مشهد موح لمن يفتح قلبه، ويوقظ حسه، ويتجاوب مع الكون حوله، والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود وهو أقصى مظاهر الخضوع، ويوجه إلى حركة الظلال المتفيئة أي: الراجعة بعد امتداد، وهي حركة لطيفة خفية ذات دبيب في المشاعر، ويرسم المخلوقات داخرة أي خاضعة خاشعة طائعة، ويضم إليها ما في السماوات وما في الأرض من دابة، ويضيف إلى الحشد الكوني الملائكة فإذا مشهد عجيب من الأشياء والظلال والدواب ومعهم الملائكة في مقام خشوع وخضوع، وعبادة، وسجود، لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يخالفون عن أمره، والمنكرون المستكبرون من بني أدم وحدهم المخالفين في هذا المقام العجيب(٢).

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة رسالة، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٤٤٢.

(٢) مكي وليد عبد الكريم، بحث بعنوان (آيات الفيء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية)، مرجع سابق، ص٣٣١.

فالله سبحانه وتعالى يخضع له جميع المخلوقات، وتدين له الأشياء بأسرها، يخبرنا أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشـــمال، وهو ســـاجد لله تعالى، منقاد لأمره عز وجل، وهذه الدلائل من كمال قدرته، وعظمته، وجلاله، فالله تعالى يســـوق تلك الدلائل لأجل العظة والعبرة ودقة صناعته، فهذه الآية تدل على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أحمده على توفيقه وإحسانه، وأصلي وأسلم على من فاق البشر بأقواله، وأفعاله وجميع أحواله، وعلى آل وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد دراستي التي كانت بعنوان (**الظل ودلالته العقدية دراسة تحليلية**) يمكنني أن أجمل أبرز ما توصلت إليه من نتائج:

١- التفكير في مخلوقات الله وآياته العظيمة، وما يحدثه الله عز وجل في هذا الكون، علوية وسفلية، من ليل ونهار، ورياح وأمطار، ورعد وبرق، وخسوف وكسوف، وزلازل وبراكين، وفيضانات وسيول، وشمس وظل وغير ذلك من الآيات الكثيرة، كلها تسير بتدبير الله، وهذا دليل قاطع من أدلة كثيرة على دقة الصانع وعلى وحدانيته تعالى جل شأنه.

٢- أن الظلَّ والفَيء بمعنى واحد وليس كذلك؛ لأن بينهما فرقاً، فالفرق بينهما أن الظل يكون ليلاً ونهاراً، أما الفيء فلا يكون إلا بالنهار على الأرجح.

٣- أن الظل جاء تارة كرمز للرحمة الإلهية، وجاء تارة كرمز للعذاب والعقاب، وجاء تارة كدلالة على عظمة وقدرة الله.

٤- وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته المتمثلة بحركة الشمس والظلال في النهار والليل، وكذلك جعل المخلوقات جميعها ساجدة خاضعة له.

المصادر والمراجع

١- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ نشر.

٢- أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، الغريب في مفردات القرءان، ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.

٣- أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ط١، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤- أبو زكريا يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي الفراء، معاني القرآن للفراء، ط١، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دون تاريخ نشر.

٥- أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي البصري، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، دون تاريخ نشر.

٦- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤، تحقيق: يعقوب عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٧- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الوجوه والنظائر، ط١، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٨- أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ط١، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد الحميد النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ج٢٣، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ٢٠٠١م، القاهرة.

١٠- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: محمود ساكر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١١- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ط١، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٢- أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، تحقيق: زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٣- أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (فأ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٤- أحمد المتولي، إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، الإصدار الثاني، دائرة ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٥- أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد الثامن من مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، محمد عبد الرحمن بن قاسم، دون دار نشر، ٢٠١٤م.

١٦- أحمد بن خالد بن فهد آل مجناء، بحث بعنوان (أحكام الظل في أبواب العبادات والآداب، رواية ودراية)، منشور في مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤٣)، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٧م.

١٧- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٨- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المعاجم والقواميس، دار الفكر، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٩- أحمد بن محمد الخفاجي المصري، شرح درة الغواص في أوهام الخواص مطبوع ضمن درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها، الفصل ٧٨ (الفيء والظل)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٠- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١/١٣٣).

٢١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ٤/٢٢-٢٨١٨.

٢٢- الإمام بدر الدين أبن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م.

٢٣- الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي "المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" ، ج٢٤، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ. والجزء الأول، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.

٢٤- أمل كاظم زوير الزيدي، بحث بعنوان (آيات الظل في القرآن الكريم)، منشور في مجلة التراث العلمي العربي، مج١٩، العدد الثالث، العراق، ٢٠٢٢م.

٢٥- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط١، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٦- حسن بن محمد باصرة، مقالة بعنوان (تحديد القبلة بواسطة الشمس)، منشورة في مجلة الإعجاز العلمي الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجدة، العدد (١١)، جدة، ١٤٢٢هـ.

٢٧- زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب الحسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ محمود بن شعبان بن عبد المقصود وأخرون، ط١، مكتب تحقيق دار الحرمين بالقاهرة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م.

٢٨- سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٩- سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (٣٨٦/٢) رقم الحديث (٦٢٠) كتاب التوبة باب (ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات، وإن كان بائناً عنها مجداً في إتيان ضدها) قال محقق الكتاب "إسناده صحيح على شرط مسلم" .

٣١- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة رسالة، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٢- عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، ٢٠٠٩م.

٣٣- عبد المجيد بن محمد الوعلان، الدلالات العقدية للآيات الكونية، ط١، دار ركائز للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

٣٤- عصام بادني، نصر الدين خليل، بحث بعنوان (إشكالية ترجمة ألفاظ الفلك في القرآن الكريم)، منشور في مجلة جسور المعرفة، المجلد التاسع، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠٢٣م.

٣٥- العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، مج١٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٦- العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ نشر.

٣٧- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٨- القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر العربي، أحكام القرآن، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٩- مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٨، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة رسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤٠- محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، بيروت، دون تاريخ نشر.

٤١- محمد الطاهر ابن عاشـــور، التحرير والتنوير "تحرير المعنى الســـديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٢١م.

٤٢- محمد الطاهر ابن عاشـور، تفسـير التحرير والتنوير، ط١، دار سـحنون للطباعة والنشر، تونس، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٣- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشـــور التونســـي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤٤- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق مجموعة بإشـراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٤٥- محمد بن جرير الطبري، تفســـير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الخرساني، دار المعارف.

٤٦- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحســـيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، دون تاريخ طبع وبلده.

٤٧- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضـل، جمال الدين ابن منظور الأنصـاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٤٨- محمد سـيد طنطاوي، التفسـير الوسـيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضـة مصـر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٩- محمد علي التهانوي، موسوعة كشـاف اصـطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الثاني، ط١، تحقيق: د. رفيق العجم، د. علي دحروج، د. عبد الله الخالدي، د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٠- محمد علي الصـابوني، صـفوة التفاسـير، الجزء الأول، ط١، دار الصـابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥١- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي "الخواطر" ، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥٢- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٣- محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، المجلد الأول، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيميرة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٥٤- مشكور العوادي، بحث بعنوان (الإعجاز العلمي للآيات الكونية)، منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد التاسع، العراق، ٢٠٠٨م.

٥٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٥٦- مكي وليد عبد الكريم، بحث بعنوان (آيات الفيء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية)، منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، مج(١٣)، العدد (٥٤)، العراق، ٢٠٢٢م.

٥٧- منى سالم محمد السيد محمد سلام، بحث بعنوان (رصد الأهلة في ظل تطور علوم الفلك والفضاء، دراسة فقهية)، منشور في مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، العدد٤٢، القاهرة، ٢٠٢٣م.

٥٨- نصر الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٩- نقلاً عن محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ.

٦٠- هدى هادي عباس، بحث بعنوان (أثر الآيات الكونية في لفظة (لقي) ومشتقاتها في فهم السياق القرآني)، منشور في مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، مج(٣٠)، العدد (١٢٥)، العراق، ٢٠٢٤م.

٦١- يحيي وزيري، إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، الجزء الأول، الناشر المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الكويت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

فهرس المحتويات

مقدمة..... ٦٨٣
المبحث الأول ٦٨٧
مفاهيم أساسية ٦٨٧
المطلب الأول مفهوم الظل في اللغة، والفرق بين الظل والفيء .. ٦٨٨
المطلب الثاني الظل في اصطلاح علم الفلك ٦٩٦
المبحث الثاني الدلالات العقدية لظاهرة الظل ٧٠٥
المطلب الأول الظل ودلالته على وجود الصانع ٧٠٧
المطلب الثاني أنواع الظل ودلالتها على عظمة خلقه وتدبيره ٧١٦
المطلب الثالث علاقة الظل بالظواهر الكونية ٧٢٨
الخاتمة ٧٣٤
المصادر والمراجع ٧٣٥
فهرس المحتويات ٧٤٣